

# المفاهيم الأساسية لتحليل اللغوي عند العرب

د- عبد الرحمن ايوب

يكتب عن الظواهر اللغوية العامة وعن المبادئ التي ينبغي أن يلتزمها الباحث اللغوي .

ولا يملك المتأمل في كتب اللغة العربية القديمة إلا أن يعتقد بوجود مبادئ عامة سار عليها البحث اللغوي العربي . وقد لاندج كاتباً أخذ على نفسه حَصْر هذه المبادئ ولكننا ولا شك نستطيع من خلال المنهج الذي سار عليه المؤلفون ومن خلال التعليقات والتعليلات التي يذكرونها أن نعرف هذه المبادئ التي اثمرت في توجيه بحوثهم وجهة أو أخرى .

وسأحاول في هذا البحث القصير أن أتلّس بعض هذه المبادئ وأن أثارها بما يناظر من المبادئ الحديثة في التحليل اللغوي .

## (1) الشكل والمضمون :

اللغة في نظر المحدثين نشاط مركب من عنصرين عنصر الشكل وهو الصورة المادية التي تتألف بهما الاصوات في كلمات أو جمل وعنصر المضمون وهو المفهوم العقلي الذي يثيره في ذهن السامع نشاط المتكلم اللغوي .

من الواضح أن التحليل العلمي لمختلف الظواهر المادية والعقلية يعتمد على مجموعة من المفاهيم الأساسية التي تختلف باختلاف نوع الظواهر التي تدرس . فالمفاهيم التي يعتمد عليها علم مجرد كالمنطق والرياضة تختلف عن المفاهيم التي يعتمد عليها علم تجريبي أو علم انساني .

وعلم اللغة من العلوم الانسانية التي يعالج ظواهر تخضع أحياناً للقوانين الطبيعية الثابتة وتخضع أحياناً أخرى للإرادة الانسانية التي تقبل التغيير دون مبرر سوى رغبة فرد أو جماعة في تغيير سلوكهم .

ورغم ما يحاوله البعض من الكشف عن مبادئ عامة للبحث اللغوي ومن ابتكار مفاهيم يصلح تطبيقها على مختلف اللغات ، فإن لكل لغة خصائص تنفرد بها عن سواها مما يفرض على الباحث تعديل هذه المبادئ العامة بحيث تتناسب مع اللغة المعينة التي يهتم بدراسةها .

والدراسة اللغوية العربية دراسة قديمة تسبق الدراسة المنهجية الحديثة بقرون عديدة . ومن ثم فمن المغالاة أن نتوقع أن نجد من بين اللغويين العرب من

المباشرة (ic) Immediate constituents التي تنادى بها الطريقة الشكلية بل بالقول بأن كلا من الجملتين رغم اتفاتها التام في التركيب الخارجى يختلفان اختلافا أساسيا في التركيب الداخلى . فالجملة الأولى تتكون من جملتين هما He is eager ( هو حريص ) و He pleases ( هو يجامل ) أما الثانية فتتكون من He is easy ( هو سهل ) و He is pleased ( شخص ما يجامله ) ويمكن وضع هذا التفسير بكل بساطة بلغة النحاة العرب على النحو الآتى . في الوقت الذى تؤول فيه الجملة الأولى بالجملة « هو حريص على أن يجامل الناس » فإن الجملة الثانية تؤول بالجملة « من السهل على أى شخص أن يجامله » .

وهكذا نرى أن الطريقة التحويلية هى فى صميمها عملية التأويل التى قال بها النحاة العرب وأن عملية التأويل شأنها فى ذلك شأن النظرية التحويلية تعتمد على المستوى الدلالى للعبارة حيث أنها فى النهاية تعتمد على المدلول الذى بينه المؤول به فى توضيح التركيب الخارجى للجملة . واذن فالأساس المزدوج الذى يقول به النحاة العرب ( أى التعبير والتأويل ) هو نفس الأساس المزدوج الذى تنادى به المدرسة التحويلية ، التركيب الخارجى والتركيب الداخلى . كما أن الجانب النظرى لكل من الاتجاهين واحد وهو الاستعانة بالمعنى فى تفسير التركيب الخارجى للعبارة .

بقى عنصر آخر تقول به المدرسة التحويلية وهو « القواعد التحويلية » ولم يهتم العرب اهتماما كبيرا بمثل هذه القواعد بالنسبة للتحليل النحوى ولكنهم ابتدعوا نظما غنية من القواعد التحويلية فى علم الصرف . وباب الاعلال والابدال ليس فى حقيقة أمره إلا مجموعة من القواعد التحويلية كما نرى فى المثال التالى .

نلاحظ الارتباط الشكلى والدلالى فى الالفاظ « قال ، يقول قائل ، قيل الخ » . اذ نلاحظ وجود عناصر متغيرة وعناصر ثابتة فى كل من هذه الالفاظ ، أما العناصر الثابتة فهى « القاف واللام » وأما العنصر المتغير فهو الفتحة فى « قال » وهى تقابل الضمة فى « تقول » والهمزة فى « قائل » والكسرة فى « قيل » . والسؤال الآن هو أى هذه الاحتمالات الأربعة يعتبر أصلا تكون الاحتمالات الأخرى صورا له . قال الصرفيون بأن الواو ( التى

ومن الطبيعى أن يقع المؤلفون الأوائل فى مخطور الخلط بين الشكل والمضمون حين اتخذوا الدلالة أساسا للتحليل اللغوى وأن يؤدى بهم هذا الخلط الى مناقضات لاحظها اللغويون المحدثون . وتدعوا بها ، ورغبة منهم فى تقادى ما وقع فيه الاتدمون من أخطاء فقد أمر المحدثون على العزل بين العنصرين ودراسة كل منهما على حدة دون تأثر بالعنصر الآخر . وبالتالى فقد قامت مدرسة تعرف بمدرسة التحليل الشكلى Formal Analysis . وهى تقرر أن تركيب الكلمة أو الجملة عملية ميكانيكية يمكن أن تدرس وجدها بعيدا عن المعنى المفهوم منها ، وأنه بعد اتمام هذه الدراسة الشكلية يمكن أن يدرس ارتباط كل تركيب بمفهوم معين .

ظل هذا الاتجاه سائدا حتى أوائل النصف الثانى من هذا القرن حيث نشأت نظرية أخرى تعرف باسم Transformation Theory وهى تعتمد فى التحليل اللغوى على المفهوم باعتباره الأساس النفسى للتركيب اللغوى .

ومن ثم فاتها تقول بوجود نوعين من التركيب ، التركيب الخارجى Surface Structure والتركيب الداخلى Deep Structure الأول منها فى نظر هذه المدرسة نتيجة نحصل عليها من إجراء عمليات معينة على التركيب الداخلى . وقد لاحظ زعيم هذه المدرسة ناعوم تشومسكى Chomsky أن بعض التركيبات اللغوية تفضى الى لبس الدلالة لا تكفى الدراسة الشكلية فى التخلص منه ومثلوا لذلك بالمثالين He is eager to please هو حريص على أن يجامل و He is easy to please هو من السهل أن يجامل . والجملتان كما هو ظاهر متفتتان شكليا فى كل شىء فيما عدا كلمة eager فى الأولى و easy فى الثانية :

ولما كانت المدرسة الشكلية تقرر أن العلاقات النحوية علاقات بين أنواع الكلمات لا بين ذواتها ، ولما كانت كل من eager و easy من نفس النوع (الوصف) فإنه طبعا لمنطق المدرسة الشكلية يحتمل أن تكون العلاقات النحوية فى كلتا الجملتين واحدة . وهذا غير الواقع لأن المصدر المؤول « to please » يتعلق بفاعل الجملة الأولى « He » تعلق المبنى للمعلوم مع المسند اليه بينما يتعلق به فى الجملة الثانية تعلق المبنى للمجهول . ومن أجل هذا فإن الطريقة الوحيدة لمبيان هذا الفرق لا تتضح من التحليل بواسطة المكونات

بين الأمرين هو أن التأويل مبني على أساس الدلالة أما القواعد الصرفية فانها عملية تجريد لوحدة صرفية معينة من امثلة واقعية وهذه العملية تعتمد اطلاقا على عنصر المعنى وان كانت تستعين به في حصر الكلمات التي تنتمي الى مادة واحدة .

## (2) الوحدة الصوتية والحرف :

الصوت اللغوي هو مجموعة من الصفات الصوتية تعتبر جزءا واحدا من الاجزاء التي تكون الحدث اللغوي، كالكاف من « ركب » ، وهي تتكون من صفات تسمى الانفجار والهمس والرخاوة . ويدرك أبناء اللغة بفطرتهم — وان كان هناك من علماء الاصوات من يشك في ذلك — وحدة هذه الصفات بحيث تكون الكل الذي نسميه صوت الكاف . ولكن هذه الصفات قد تزيد أو تنقص تبعا للظروف التي يوجد فيها الصوت ، ففي المثال « كتب » نقصت من هذه الصفات صفة الانحباس وفي المثال « لك » وجد الانحباس ولم يوجد الانفجار . ومعنى هذا بالضرورة ان يكون لدينا في الامثلة الثلاثة السابقة ثلاث كانات لا كاف واحدة هي ثلاثة انواع من الكاف ، « الكاف المنفجرة والكاف المنحسبة والكاف المنفجرة المنحسبة » او بعبارة اخرى فان الحرف الذي نسميه كانا يعني كانا كلية تندرج تحتها افراد ثلاثة من الكانات . والكاف الكلية هذه هي الوحدة الصوتية او الصوتيم (Phoneme) وهي امر اعتباري يتدرج تحته افراد واقعية يسمى كل منها صوتا (Phone).

ولم يفرق العرب بين الصوتيم والصوت تفريقا نظريا واضحا كما فعل المحدثون ولكن ما كتبوه في وصف الاصوات بين بوضوح ادراكهم لهذه النظرية .

وقد استعمل سيبويه لفظ ( حرف ) للمعنى العام الذي يعرف بالصوتيم او الوحدة الصوتية ثم ذكر ان هناك حرفا اصليا وفروعا له . ومثل لذلك بالالف والالف المالة والالف التخميم وبالضاد والضاد الضعيفة وبالنون والنون الخفيفة . الخ .

واتجاه سيبويه هذا يذكرنا بتعريف دانيال جونز للصوتيم بأنه عائلة من الاصوات يعتبر احدها أصلا والباقي فروعا له .

ولن ادخل الآن في الجدل الذي نشب بين اللغويين المحدثين حول نظرية الصوتيم Phoneme theory

تمثلها الضمة الطويلة في يقول) هي الاصل وبالتالي فان اصل قال ( او التركيب الداخلي لها) هو «قول» واصل يقول هو «يقول» واصل قائل هو «تقول» ثم وضموا طائفة من القواعد المترددة لتحويل الواو في الامثلة كلها الى الصورة التي تبدو عليها واقعيا في المثال . اي انهم في واقع الامر قد قالوا بنفس الامور الثلاثة التي تقول بها المدرسة التحويلية وهي التركيب الخارجي (اللفظ) والتركيب الداخلي ( التأويل) والقواعد التحويلية ( قواعد الاعلال في هذه الحالة ) .

وقد امتازت المدرسة العربية على المدرسة التحويلية في هذا المجال بميزة هامة ذلك ان المدرسة التحويلية تضع قاعدة لتحويل مثال بعينه وبالتالي فانها من باب التفسير لا التعميد . اما القاعدة الصرفية ( اي القاعدة التحويلية ) عند العرب فانها قاعدة تركيبية عامة لا تفسر لفظا بعينه بل تعمل في كل الظروف التي تنطبق على القاعدة . وهذا هو بحق ما يمكن ان يسمى بالتعميد . اما القواعد التحويلية التي يقول بها تشومسكي واتباعه فهي كما قلنا ليست قواعد بل مجرد تفسير تحليلي لاحتمالين عقليين في فهم عبارة معينة . وعلى سبيل المثال نجد ان القاعدة العربية « اذا تحركت بالواو وسبقت بالفتحة قلبت ( او تحولت ) الفاء » تنطبق على التركيب الداخلي ( التأويل ) « قول » الذي يصير تركيبا خارجيا هو « قال » . كما سنجد منطبقا على التركيب « قوم » الذي يصير بناء على نفس القاعدة « قام » . اما القاعدة التحويلية الاخرى وهي « اذا وقعت الواو مضمومة حذفت ضميتها للنقل وصارت الواو ضمة طويلة » فاننا نجدها تنطبق على « يقول » التي تصير بناء عليها الى « يقول » وعلى « مقول » التي تصير بناء على القاعدة نفسها الى « مقول » اما القواعد التحويلية التي قال بها تشومسكي فانها قواعد لا تنطبق على اطلاقها بل في نطاق مثال معين قد يحتوى على لفظ او تركيب يمكن ان يكون مزدوج العلاقة .

لست الان في مجال الرد على المدرسة التحويلية ولا على المدرسة التقليدية العربية في اتخاذ المعنى اساسا للتبويب النحوي . ولكن ينبغي علي الان ان اعترف بانى اوافق النحاة كل الموافقة على قواعدهم التحويلية الصرفية بينما اختلف معهم كما اختلف مع المدرسة التحويلية فيما يتعلق بالقواعد التحويلية النحوية ( اي التأويل ) والفرق

ولكنى اكتفى بالتول بأنهم قرروا ضرورة تحديد الظروف الكلامية التي يوجد فيها كل من أفراد الصوتيم ولا يمكن أن يوجد فيها سواه . وفي باب الإدغام في العربية مثال لتوزيع أنواع حرف ما ( أو الاصوات التي تتدرج تحت وحدة صوتية معينة ) على مختلف الظروف الكلامية .

ولنأخذ مثال النون العربية وهى على أنواع :

- (1) نون لثوية مجهورة وتوجد في جميع الحالات سوى ما يأتى .
- (2) نون رخوة انفية مجهورة وتوجد قبل الكاف مثل « ان كان » .
- (3) نون لهوية انفية مجهورة وتوجد قبل القاف مثل « ان قال » .
- (4) نون صليبية انفية مجهورة وتوجد قبل الياء والشين والجيم « ان يكن » « ان شاء » « ان جاء » .
- (5) نون شفوية ثنائية مستديرة انفية وتوجد قبل الواو مثل « ان وعد » .

### (3) الساكن والمتحرك والحركة :

يقسم علماء اللغة المحدثون الكلمة « كتب » الى ستة أقسام الكاف والفتحة والتاء والفتحة والباء والفتحة . ولكن علماء اللغة العرب يقسمونها اتساما ثلاثة فقط هى الكاف والتاء والباء ثم يضيفون لكل من هذه صفة لاحقة بها هى الفتحة أو بعبارة أخرى فان العرب يعتبرون أن الكلمة « كتب » تتطلب ثلاث عمليات هى :

- (1) عملية اداء الكاف والتخلى عنها اى رفع مؤخرة اللسان الى السقف الرخو وحبس الهواء مع عدم الجهر ثم التخلى عن هذا الوضع النطقى .
- (2) عملية اداء التاء والتخلى عنها وهى تلامس طرف اللسان مع اللثة وحبس الهواء والهمس ثم التخلى عنها .
- (3) عملية اداء الباء وهى انطباق الشفتين وانحباس الهواء والجهر ثم التخلى عنها .

وجزئية التخلى في هذه العمليات الثلاثة قد تتخذ اشكالا متعددة تبعا لوضع اللسان والشفتين وحركة الأوتار الصوتية فقد تكون جزئية التخلى هذه هى ما يسمى بتحريك الكاف بالفتحة أو بالضمة وقد تكون بالسكون فلا تسلك الاعضاء الصوتية نفس سلوكها

عندما تكون جزئية التخلى هذه فتحة أو كسرة أو ضمة . والشكل الذى تتخذه جزئية التخلى هو ما تسميه مدرسة التحليل الطيفى باسم « Cue » وصنيع العرب في هذا المجال يفكرنا بالكتابة الاثيوبية التي لا تكتفى بصورة كتابية للساكن بل تضع صورة للساكن محركا بحركة ما تختلف عن الصورة التي تضعها لنفس الساكن عندما يكون محركا بحركة أخرى فالباء — على فرض أن النظام الصوتى في الامهريه هو نفس النظام الصوتى العربى — تكتب على اربعة اشكال مختلفة ، شكل عندما تكون ساكنة وآخر عندما تكون مفتوحة وثالث عندما تكون مضومة ورابع عندما تكون مكسورة . وهذا النوع من الكتابة هو ما يعرف باسم الكتابة المقطعية ، وتعتبر الكتابة العربية خطوة الى الامام حيث جعلت للصوتيم رسمه الموحد رغم اختلاف حركته . ولكنها اعتبرت الحركة شكلا من الاشكال الذى يبدو عليها الصوتيم وليست صوتيا آخر .

ويظهر لنا أن تركيبات اللغة العربية ذاتها تساعد على هذا الاتجاه وذلك للأسباب الآتية :

1 — الحركات في العربية لا تزيد عن اربعة هى : عدم وجود حركة ( سكون ) وفتحة وضمة وكسرة . وبذلك فان مجال الخلط بينها ليس واسعا كما هو في الانجليزية والصومالية التي تزيد عدد الحركات في كل منهما عن عشرين حركة .

2 — تحدد الأوزان الصرفية نوع الحركة بعد كل ساكن من مواد الكلمة فاسم الفاعل من الثلاثى دائما مفتوح الاول ( فتحة طويلة ) مكسور الثانى . والفعل الماضى والمضارع المبنيان للمعلوم مفتوحا الاول دائما ولا يخرجان عن هذه القاعدة الا في حدود قواعد اخرى كزيادة الهزة على المادة في مثل « أخرج » التي تتطلب ضم اول المضارع وكالبناء للجھول الذى يتطلب طريقة اخرى من تحريك السواكن الخ .

3 — تتكفل القواعد الاعرابية بتحديد حركة اواخر الكلمات . من اجل هذا لم تجد الكتابة العربية في اول امرها حاجة الى وضع رموز خاصة بالحركات ، اكتفاء بالقواعد التركيبية في مستوى الصرف والنحو التي تجدد نوع الحركات الى حد كبير .

صحيح ان هذا يعنى أن الكتابة العربية تعتمد على قواعد اللغة الصرفية والنحوية وهذا واضح في نزعة قواعد الإملاء الى أن تعتمد على القواعد الصرفية .

وصحيح ايضا ان هذا يواجه المتعلم بصعوبة بينة حيث انه يبدأ تعلم اللغة بتعلم الكتابة بينما ان الكتابة تعتمد على النحو والصرف الذي لا يحيط بهما المتعلم عندما يبدأ تعلم الكتابة الخطيبة .

ولكن الامر من وجهة النظر التحليلية ( وهى مستوى اعلى من مستوى التأليف التعليمى ) امر منطقى حيث انه من المسلم به لدى علماء اللغة ان قواعد اللغة تعتمد مستوياتها كل على الآخر . وكما تعتمد القواعد الصرفية على القواعد الصوتية او النحوية مثلا فان القواعد الكتابية بدورها يمكن دون حرج ان تعتمد على مستويات اخرى من قواعد اللغة . ومن هنا اهمل الكتاب العرب الاوائل كتابة الحركات فيما عدا الطويلة منها ، وقد رمزوا اليها بحروف سموها حروف اللين والمد . وفى تاريخ متأخر استعملت حروف اللين والمد للرمز للصفات الحركية لحروف المادة والزيادة وكتبت صغيرة فوقها ( و ) للضممة ( ا ) للفتحة ( ي ) للكسرة ( هـ ) للسكون . ولا يزال رسم المصحف يحتفظ بهذه الطريقة لتدوين الصفات الحركية او الحركات .

وفى دراسة اصوات اللغة اتبع سيبويه وتلاميذه هذا المنهج فوصفوا الحروف اساسا ولم يصفوا صفاتها الحركية الا وصفا ضمنيا حين تحدثوا عن حروف اللين والمد . ويقرر سيبويه صراحة ان الفتحة جزء من الالف والكسرة جزء من الياء والضممة جزء من الواو فيقول ( واما الحركات فهى من الالف والواو والياء . الخ .

وبناء على هذا يكون كل من الالف والواو والياء مكونا من جزئين اللين ( نصف الحركة ) والمد ( طول الحركة ) .

وقد يكون جزء اللين ( او نصف الحركة ) شبيها بالحرف وذلك اذا تبعته حركة او ولى حرفا متحركا مثل و ، ي فى الكلمتين ، او ، اى ، وهذا ما يسميه علماء الاصوات المحدثون بالانزلاق او نصف الحركة Semi vowel . اما بالنسبة للجزء اللين من الالف فله احتمالان اما ان يكون حركة وذلك اذا كان صفة لحرف كالفتحة فى « ك » واما ان يكون انزلاقا . ونظرا لان الفتحة لا مخرج لها حيث ان جميع الاعضاء الصوتية تكون متباعدة بعضها عن بعض فان الانزلاق لا يمكن ان يحدث

الا اذا اقتربت الاوتار الصوتية بعضها من بعض اقترابا يشبه اقتراب الشفتين للنطق بالواو وقد يشتد الاقتراب ثم يزول منتج ما سماه سيبويه بالهمزة المسهلة . وقد يكون الانزلاق بطريقة اخرى وهو احداث دفعة هوائية ضخمة تحتقن بواسطتها منطقة الاوتار الصوتية . وبعد مرور الدفعة الهوائية يزول احتقانها محدثا صوتا شبه انفجارى وربما كان هذا هو ما يقصده سيبويه بالهمزة التى بين بين . وهذه العملية هى التى تسمى بازدواج القمة المقطعية . (doubling the peak)

هذا ولم يقسم سيبويه بادئ ذى بدء الاصوات الى سواكن (consonants) وحركات (vowels) كما فعل المحدثون ولكنه قسم الاصوات الى اقسام متعددة هى المنفجرة والانفية والجانبية والترددة وحروف اللين والمد . الخ . ثم جعل الحركة جزءا من حرف اللين ، اى ان وصفه لحروف اللين يتضمن وصفه للحركات ضرورة انها الاخيرة اجزاء من الاولى ، وسيبويه هنا صوتى دقيق حيث انه لاحظ ما لاحظه المحدثون من ان الفرق بين ما نسميه الواو والضممة والياء والكسرة هو مجرد الاستمرار الزمنى فى الأداء او الطول فلو نطقنا بالكلمة « او » واستمر نطقنا بالواو الساكنة فسيكون هذا الاستمرار هو الضمة وبالمثل اذا ما نطقنا بالياء الساكنة من « اى » فان اطالتها تنتج الكسرة .

واذن فالفرق بين سيبويه والمحدثين هو كالفرق بين شخصين يدعى أحدهما ان الرقم 4 ينتج من تكرار العدد 2 مرتين ، ويدعى الآخر انه يتكون من تكرار العدد 1 اربع مرات . هو مجرد فرق فى الاعتبار لا فى الموضوع

### الوصف المادى والوصف الوظيفى :

ويجدر بنا فى سياق الحديث عن الحركات ان ننقل عن سيبويه قوله بان الحركات فى العربية ثمانية هى الضم والرفع والفتح والنصب والخفض والجر والسكون والوقف وان هذه الثمانية من حيث الواقع اربعة لان الضم والرفع امر واحد وكذلك الفتح والنصب والخفض والجر والوقف والسكون . ولكن نظرا لامكان تغيير حركة الرفع والنصب والخفض والسكون نتيجة لاختلاف موقع الكلمة الاعرابى فقد اعتبر هذه امورا مختلفة عن الضم والفتح والخفض والسكون .

وسنبرع سيويوه هذا يعكس نظرية حديثة تفرق بين الصفات الذاتية لفراد الوحدة اللغوية وبين الصفات الوظيفية للوحدة ذاتها . وقد وضحا هذا الفرق في نرخص متعددة بمثال لا نرى بأسا من اعادته هنا .

لو قلنا بأن حارسا واحدا يحرس مبنى الكلية ، مان هذا لا يعنى وجود حارس واحد دائما في كل ساعات النهار والليل ولا تتعارض هذه الدعوى مع وجود ثلاثة من الحراس يتقاربون فيما بينهم الحراسة هم محمد وعلى وابراهيم .

وليس من شك في صحة قولنا بأن في الكلية ثلاثة حراس هم محمد وعلى وابراهيم وصحة قولنا بأن حارسا واحدا يحرس الكلية ، حيث ان حارس بالمعنى الثانى تحديد للوظيفة اما بالمعنى الاول فانه يعنى تحديد شخص ذى صفات بعينها هو احد الثلاثة محمد وعلى وابراهيم .

ومثل هذا التفريق هو الذى قصده سيويوه فهو يعنى بالضم والفتح والخفض والسكون ذوات الحركات ويعنى بالرفع والنصب والجر والجزم وظائف قد تحقق بهذا الحركات ( وهو الاعم الاغلب ) وقد تحقق بأمر أخرى كالرفع بالواو او بالالف او ثبوت النون والنصب بالالف او بالكسرة او حذف النون والجر بالفتحة او بالياء والجزم بحذف النون او بحذف حرف العلة .

ونظرية تقابل الصفات الوظيفية والصفات المادية هي المحور النظرى في دراسة علم اللغة الحديث . وقد نطلب نضوج هذه النظرية عشرات من السنين حيث وجدناها فيما كتب دى سوسير في العشرينيات ( وربما كانت موجودة من قبله ) ولا تزال محل نقاش نظرى حتى يومنا هذا .

### المادة والاساس والصفة :

بعد الانتهاء من حصر الوحدات الصوتية في اللغة يصعد الباحث الى مستوى أعلى من التحليل هو مستوى تركيب الكلمة morphology والوحدة الاساسية في هذا المستوى هي الصرفيم morpheme ويعرف بأنه اقل مجموعة من الوحدات الصوتية تؤدي معنى مثل im في الكلمة الإنجليزية impossible ويفرق علماء اللغة المعاصرون بين مجموعة من الاصوات توجد وحدها

في الاستعمال وتقبل اضافة اجزاء تركيبية اخرى اليها وتكون معها كلمة وبين سواها من المجموعات الصغرى ذات الدلالة فكلية possible تعتبر اساسا للكلمة impossible وقد نهج العرب نفس النهج حين اعتبروا كلمة مسلم اساسا بنيت عليه الكلمة مسلمون ، غير انهم اضافوا مفهوما آخر تقتضيه طبيعة اللغة العربية واطلقوا على هذا المفهوم لفظا لمادة . والمادة اقل مجموعة من الاصوات تؤدي معنى ولكنها لا تصلح وحدها ان تكون كلمة مستقلة الاستعمال بل ولا يمكن النطق بها دون اندماجها مع مجموعة اخرى ذات معنى تسمى بالوزن .

والمادة والوزن مفهومان خاصان بالعربية وباللغات السامية وهما مفهومان تجريديان وليسا كالاساس جزءا يمكنه الاستقلال بذاته في الاستعمال . والمادة والوزن ليسا مجرد طريقة منهجية لتفسير بناء الكلمة في العربية ولكنها اعتباران يبنى عليهما السلوك الصوتى في تركيب الكلمة . نود ان يلاحظ ما يأتى :

### ( ا ) الصوتيم في المادة وغير المادة :

قلنا بأن الصرفيم يتكون من صوتيمات . وقلنا بأن كل صوتيم يشمل مجموعة من الانواع يختار واحد منها للاستعمال في ظرف او ظروف معينة لا يشاركه فيها سواه وكل هذا صادق بالنسبة للغة كالانجليزية . أما في العربية فيصدق هذا السلوك في غير صرفيمات المادة . ولتقارن بين سلوك الصرفيم « و » عند وجوده في صرفيم غير صرفيم المادة وعند وجوده في صرفيم المادة .

في غير صرفيم المادة نلاحظ ان الواو تلزم صفة واحدة ولا يعترضها غير تأثيرات التجاوز كالتخيم اذا جاوزت صوتا مخفيا مثل طور ، والانفية اذا جاورت صوتا انفيا مثل إن وعد . اما فيما عدا ذلك فانها تحتفظ بصفات الاساسية وهي الشفوية الثنائية والانطلاق وعدم الاحتكاك والجر ، ولكن الواو في صرفيم المادة ذات شأن آخر فقد تكون واوا ساكنة وقد تكون ضمة تمصيرة او طويلة وقد تكون فتحة طويلة وقد تكون همزة وقد تكون ياء وقد تسقط نهائيا .

### واليسك الامثلة :

في المادة العربية « ق و ل » الاصل الثانى « واو » ومن هذه المادة تشتق الكلمات قال ، يقول ، قائل ، قيل ، قل الخ . ولو ابعدنا من هذه الكلمات حروف الزيادة

من ياء المضارعة والف صيغة « فاعل » وأبعدنا كذلك الأصل الأول وهو القاف والأصل الثالث وهو اللام لوجدنا (1) الأصل الأوسط وهو الواو يبدو مرة فتحة طويلة ومرة أخرى ضمة طويلة وثلاثة همزة ومرة رابعة ضمة قصيرة . ومعنى هذا ان الصوتيم « و » اذا كان من صوتيمات المادة فانه يظهر في صورة واحد من هذه الاصوات الخمسة ومثل هذا السلوك قاصر على صوتيمات المادة ولا يتعداها الى الصوتيمات التي لا تكون اصولا في مادة .

### ب) تجاوز الصوتيمات :

للسوتيمات في كل لغة سلوك معين ، فمنها ما لا يمكن ان يقع في اول الكلمة او وسطها او آخرها . ومنها ما لا يقع بعد النبر او بعد حركة معينة او قبلها . ومثال ذلك الصوتيم ن G في الانجليزية وهو لا يوجد الا في آخر الكلمة كما في King .

ومنها ما يجاوز اصواتا معينة ولا يجاوز اخرى . وفي الانجليزية يمكن وجود المجموعة اول الكلمة ولكن لا يمكن وجود المجموعة TS في هذا الموضع وقد تعرض العرب لموضوع تجاوز الاصوات غير أنهم ميزوا بين تجاوز الاصوات في نطاق المادة وفي غير نطاق المادة . وبالنسبة لاصوات المادة خلصوا الى القول بقواعد ثلاثة :

(1) لا يمكن اجتماع صوتين متماثلين في اول المادة ( اى لا يمكن كونها فاء وعينا ) ومن ثم فليس في العربية كلمة فاؤها وعينها فاء مثلا ، اما الكلمة اتبع وفيها تجتمع فاءان ( الفاء المشددة ) فاحدهما صوتيم المادة الاولى ( فاء الكلمة ) ابا الاخرى ( فاء الزيادة ) ، اى ان اجتماع التاعين يمكن اذا كانت احدهما فاء زيادة والاخرى من مادة الكلمة . كما يمكن اجتماع صوتين متماثلين في اول المادة نتيجة ادغام آخر كلمة سابقة مع اول كلمة بعدها كما في قولنا « اسكت توبة لريك » . فبالرغم من ان التاعين صوتيم مادة فانها ليستا من مادة واحدة بل من مادتين مختلفتين هما س ، ك ، ت ، ن ، و ، ب .

(2) يمكن ان يكون الصوتيم الثانى والثالث من صوتيم مادة متماثلين مثل ر ، د ، د ، ش ، ب ، ب ، ومنها ردّ وشبّ ) .

(3) اذا كان الصوتيم الثانى والثالث غير متماثلين فيتحتم ان يكونا متباعدي المخرج . ولهذا فلا توجد مادة في العربية ثانياها وثالثها دالا وتاء او ياء او جيبا او سينا وصادا او طاء وتاء او قافا وكافا . الخ . وذلك لتجاور مخارج هذه الصوتيمات .

الشيء المهم هنا هو ان نظرية التجاور في هذا المجال اُرسيت متحققة على النحو المألوف في غير العربية واخوانها الساميات لان المادة كما قلنا ليست صورة مفترضة . والتأثر بالتجاورة يفترض ان يكون ناتجا عن الحركة العضوية الواقعية التي تمر من موضع النطق بصوت الى موضع النطق بالصوت الذى يليه . وهذا التداخل في الحركة العضوية التي تستمر حتى تشمل الموضعين هو الذى يسبب التأثر بالتجاورة . ولما كانت المادة لا تنطق ، امتنع بالضرورة التأثر الناتج عن تداخل الحركة العضوية .

ولا اود ان اتورط في تفسير هذه الظاهرة اللغوية غير العادية . ولكن يمكن ان يفترض ان المادة في العربية كانت في دور سحيق كلمة واقعية يمتنع في نطاقها اجتماع صوت باخر .

ودراسة التغيرات الصوتية في نطاق المادة قد انتج دراسة طويلة قام بها اللغويون العرب بكل دقة وتفصيل . وهذه الدراسة تدخل في باب يعرف بالاعلال والابدال .

### ج) التجاور بالتقابل :

لا يقتصر تأثر الاصوات بعضها ببعض في العربية على الاصوات المتجاورة فعلا او على اصوات المادة بعضها ببعض بل قد يتعداها لتأثر اصوات في صيغة ما باصوات في صيغة ثانية مع ان الصيغتين لا تجتمعان اجتماعا واقعيا . وقد حصر العرب هذه الحالات حصرا دقيقا في باب صيغ الفعل وربطوا امكانيات التنوع الصوتي بين الصيغ بالتمدى واللزوم او ببعض المعانى . واليك امثلة توضح ذلك :

(1) الضمة القصيرة التي بعد القاف في « قل » جزء من الامر « ادخل » .

- 1 - فعل ومضارعه يفعل مثل ضربه يضربه
  - 2 - فعل ومضارعه يفعل مثل اخذه ياخذه
  - 3 - فعل ومضارعه يفعل مثل سمعه يسمعه
- وقد ارتبط تعدى الفعل هنا بحركة العين في كل من الماضى والمضارع او بعبارة اخرى فانه يمكن ان نقول بان كسر عين المضارع يحدث اذا فتحت عين الماضى وكان الفعل متعديا .

- 2 - الكلمة impossible تتكون من im وتعبر عن النفي و possible وتسمى الاولى لاصقة امامية ( او سابقة ) prefix والثانية اساسا .
- 3 - الكلمة ( مسلجون ) تتكون من مسلم وهى الاساسى و ( سون ) وهى لاصقة .
- 4 - الكلمة العربية كليب تتكون من كلب وهى الاساس ومن الياء الساكنة بعد اللام وهى واسطة ( وضم الكاف منها ) .

وهذا نوع جديد من التجاور ، اذا صح هذا التعبير وهو اعتماد نوع الحركة في كلمة اخرى لتجاورها مجاورة واقعية استعمالية بل ترتبط بها بمجرد الاشتراك في المادة . اذكر هذا على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لتوضيح هذه الظاهرة اللغوية الفريدة . ولئن شاء الاستزادة ان يرجع الى كتاب سيويه مثلا ليجد التفصيلات، والتفريعات التى تشهد بنضوج منهجى نادر .

#### د) اللواصق والسوزن :

سبق ان ذكرنا ان بعض الكلمات يمكن ان تكون اساسا لتوليد كلمات اخرى وذلك باضافة صرفيمات ذات معنى ما الى الاساس . وقد تكون الصرفيمات المضافة بدورها كلمات تصلح اساسا ويمكن استعمالها مستقلة وقد لا تكون . وهذا النوع الاخير هو ما يسمى باللاصقة Affix واليك هذه الامثلة :

- 1 - الكلمة الانجليزية black bird ( اسم طائر ) تتكون من black و bird وكل منهما تصلح ان تستعمل كلمة مستقلة . وهنا يتعذر اختيار واحد من الجزاين ليكون اساسا .

ويمكن تطبيق نظرية اللواصق التى قال بها الاوروبيون على اللغة العربية في غير نطاق المادة . وقد فعل العرب ذلك في مثل جمع المذكر السالم والمؤنث السالم والتصغير . الخ ، اما بالنسبة للمادة فلم يقولوا بفكرة السوابق والوسائط واللواحق بل قالوا بفكرة السوزن . وهم في هذا على حق فان الاصوات الزائدة على مادة ك ، ت ، ب في كلمة مكتوب . وهى الميم والفتحة التى بعدها والضمة الطويلة بعد التاء لا تنفصلان في صورة السابقة «م» والواسطة «و» ولكنها وحدة تركيبية لا يمكن انفصال جزئها .

هذه بعض الاسس النظرية التى بنى عليها التفكير اللغوى عند العرب . وهى كما قلت لم تذكر صراحة في مؤلف مستقل او في جزء خاص من مؤلف . ولكن اللغويين العرب قد يشيرون الى بعضها اشارة جانبية في بعض مناقشاتهم ، التى قد تتعرض لانكار شبيهة بما تعرف اليوم من نظريات لغوية وفى يقينى ان الاتجاه الى البحث عن الاسس النظرية للدراسة اللغوية العربية سيفتح امامنا مجالا خصبا جديدا لا يستطيع ان يلجه من لم يتمكن من فهم التراث اللغوى العربى فهما مستترا .